كتاب الطالب

البلاغة العربية

الصف السادس الإسلامي

6

سنة الطبع
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

يوزع مجاناً ولا يباع

جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية
قسم المناهج والتطوير

البلاغة العربية

الصف السادس الإسلامي

كتاب الطالب

6

تأليف

١	علي صالح عبد الفتاح الجارم
٢	مصطفى أمين

إعْدَادُ وَتَنْقِيحُ لَجْنَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ٢٠٢٣

١	أ.م.د.قحطان عدنان عبدالواحد
٢	د. هـدى صيهـود زرزور
٣	د.عبدالقادر عبدالرزاق هضم

التصميم والإخراج الفنّي للكتاب

أ.م.د. علي سعيد حمادي

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تمهيد		٦
الوحدة الأولى: المحسنات اللفظية		١٠
الدرس الاول	الجناس	١١
الدرس الثاني	الاقتباس	١٥
الدرس الثالث	السجع	١٩
الوحدة الثانية: المحسنات المعنوية		٢٣
الدرس الاول	التورية	٢٤
الدرس الثاني	الطباق	٢٨
الدرس الثالث	المقابلة	٣٢
الدرس الرابع	حسن التعليل	٣٧
الدرس الخامس	تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه	٤١
الدرس السادس	أسلوب الحكيم	٤٥
الدرس السابع	أثر علم البديع في بلاغة الكلام	٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَقْدِيمٌ :

الحَمْدُ لِلهِ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ اَلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَسْلِيمًا مَزِيدًا ...

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّهُ يَسُرُّ قِسْمُ المَنَاهِجِ وَالتَّطْوِيرِ فِي دَائِرَةِ التَّعْلِيمِ اَلدِّينِيِّ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ -وَهِيَ إِحْدَى تَشْكِيلاتِ دِيوَانِ الوَقْفِ اَلسُّنِّيِّ فِي جُمْهُورِيَّةِ العِرَاقِ- أَنْ يُقَدِّمَ هَذَا الكِتَابَ إِلَى طَلَبَتِنَا الأَعِزَّاءِ فِي الصَّفِّ السَّادِسِ مِنَ الدِّرَاسَةِ الإِعْدَادِيَّةِ، ضِمْنَ سِلْسِلَةِ كُتُبِ اَللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي تَمَّ إِعْدَادُهَا وتَأْلِيفُهَا فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ الدِّرَاسِيَّةِ؛ لِتَحْسِينِ الكِتَابِ المَدْرَسِيِّ وَتَجْوِيدِهِ شَكْلاً وَمَضْمُونًا؛ وتَحْقِيقِ الأَهْدَافِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ فِي ثَانَوِيَّاتِنَا الإِسْلامِيَّةِ وَغَايَتِهَا، مُرَاعِيًا فِيهِ خُصُوصِيَّتَهَا، وَرِسَالَتَهَا، اعْتِمَادًا عَلَى أُمَّاتِ كُتُبِ البَلاغَةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي تَزْخَرُ بِهَا مَكْتَبَتُنَا العَرَبِيَّةُ، وَلا سِيَّمَا كِتَابُ البَلاغَةِ الوَاضِحَةِ، وَشُرُوحَاتِ أَهْلِ العِلْمِ الأُخْرَى.

وَجَاءَ تَحْدِيثُ المَعْلُومَاتِ فِيهِ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ قُدُرَاتِ الطَّلَبَةِ وَمُسْتَوَيَاتِهِمْ فِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ العُمْرِيَّةِ، فَضْلاً عَنِ المَلْحُوظَاتِ المَيْدَانِيَّةِ، وَقَدْ تَمَّ إِخْرَاجُ هَذَا الكِتَابِ المَنْهَجِيِّ إِخْرَاجًا فَنِّيًّا لائِقًا، وَجَعْلُهُ عُنْصُرًا مُشَوِّقًا وَجَذَّابًا لِلطَّلَبَةِ، وَتَمَّ تَنْفِيذُ ذَلِكَ بِفَضْلِ اَلْجُهُودِ الكَبِيرَةِ الَّتِي بَذَلَتْهَا مَجْمُوعَةٌ مِنْ ذَوِي الاخْتِصَاصِ فِي دَائِرَتِنَا، وَبَعْدَ عَرْضِهِ عَلَى الخُبَرَاءِ وَالمُخْتَصِّينَ فِي مَجَالِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَعُلُومِهَا، أَوْصَوْا بِصَلاحِيَّةِ تَدْرِيسِهِ لاشْتِمَالِهِ عَلَى المُفْرَدَاتِ المَنْهَجِيَّةِ المُتَوَخَّاةِ لِلنُّهُوضِ بِالْمُسْتَوَى العِلْمِيِّ فِي الثَّانَوِيَّاتِ الإِسْلامِيَّةِ، وَلِيُسْهَمَ بِإِعْدَادِ جِيلٍ وَاعٍ مُتَسَلِّحٍ بِمَا يُقَوِّي فِيهِ رُوحَ الانْتِمَاءِ إِلَى لُغَتِهِ اَلْخَالِدَةِ، وَأُمَّتِهِ وَتَارِيخِهِ اَلْمَجِيدِ، وَيَبْعَثَ فِيهِ اَلْهِمَّةَ إِلَى بِنَاءِ مُسْتَقْبَلٍ أَفْضَلَ.

فَنَسْأَلُ اَلْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكْلأَ طَلَبَتَنَا بِعِنَايَتِهِ، وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا جَمِيعًا إِلَى مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قِسْمُ المَنَاهِجِ والتَّطْوِيْرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقدِّمَةٌ:

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَصَلاةُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَى رَسُوْلِهِ الأَمِيْنِ، مَنْ آتَاهُ سِحْرَ البَيَانِ، وَخَصَّهُ بِمُعْجِزَةِ القُرْآنِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ.

أمَّا بَعْدُ:

فَلا يَخْفَى عَلَى كلِّ ذِي نَظَرٍ أَنَّ دِرَاسَةَ عِلْمِ البَلاغَةِ تُمَثِّلُ ضَرُورَةً فَنِّيَّةً نَشَأَتْ لِخِدْمَةِ اَلنَّصِّ اَلْقُرْآنِيِّ اَلْمُعْجِزِ اَلَّذِي كَانَ - وَلا يَزَالُ - شُغْلَ الدَّارِسِينَ اَلشَّاغِلَ، فَهُوَ النَّصُّ الَّذِي تَحَدَّى بَلاغَةَ القَوْمِ فَاحْتَاجَ إِلَى دِرَاسَاتٍ تَشْرَحُ إِعْجَازَهُ، وَتُبَيِّنُ مَجَازَه، وَتَجْلُو حَقِيقَتَهُ وَكِنَايَاتِهُ وَلَطِيفَ إِشَارَاتِهِ، وَقَدْ أَعَانَتْنَا تِلْكَ الدِّرَاسَاتُ عَلَى مَعْرِفَةِ الجَيِّدِ مِنَ اَلْقَوْلِ، وَالحُكْمَ عَلَيْهِ، فَأَصْبَحَتْ مُمَثِّلَةً لِذَوْقِ الكَاتِبِ وَالْقَارِئِ، فَكَانَتْ زَادَ النَّاقِدِ فِي عَمَلِيَّةِ تَفْكِيكِ اَلنُّصُوصِ بَحْثًا عَنْ جَمَالِيَّةِ اَلصُّورَةِ وَعَنَاصِرِ التَّخْيِيلِ فِيهَا.

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ جَاءَ (كِتَابُ البَلاغَةِ العَرَبِيَّةِ) لِلصَّفِّ السَّادِسِ الإِعْدَادِيِّ فِي الثَّانَوِيَّاتِ الإِسْلامِيَّةِ؛ لِيُمَثِّلَ حَلَقَةً جَدِيدَةً مِنْ حَلَقَاتِ مَنَاهِجِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المُطَوَّرَةِ، وَالمُعَدَّةِ وَالمُؤَلَّفَةِ ضِمْنَ فَلْسَفَةِ التَّعْلِيمِ وَأَهْدَافِهِ فِي دَائِرَةِ اَلتَّعْلِيمِ اَلدِّينِيِّ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ فِي دِيوَانِ الوَقْفِ السُّنِّيِّ، اسْتِنَادًا إِلَى اَلتَّغْذِيَةِ الرَّاجِعَةِ مِنَ المَجَالِ التَّرْبَوِيِّ الَّتِي جَمَعَهَا المُشْرِفُونَ الاخْتِصَاصِيُّونَ أَثْنَاءَ الزِّيَارَاتِ المَيْدَانِيَّةِ إِلَى الثَّانَوِيَّاتِ الإِسْلامِيَّةِ المُنْتَشِرَةِ فِي عُمُومِ بَلَدِنَا العَزِيزِ، والاسْتِبَانَاتِ الَّتِي تُرْسَلُ مِنْ قِبَلِ قِسْمِ المَنَاهِجِ وَالتَّطْوِيرِ؛ لِتَقْوِيمِ المَنْهَجِ المَدْرَسِيِّ وَتَطْوِيرِهِ.

واعْتَمَدْنَا بِالدَرَجَةِ الأَسَاسِ عَلَى كِتَابِ: (البَلاغَةِ الوَاضِحَةِ فِي البَيَانِ وَالمَعَانِي وَالبَدِيعِ) لِمُؤَلِّفَيْهَا (عَلِي الجَارِمِ، وَمُصْطَفَى أَمِينَ)، فَقُمْنَا بِتَشْذِيبِهِ وإِعْدَادِهِ وَتَنْقِيحِهِ، فَضْلا عَنْ أُمَّاتِ كُتُبِ البَلاغَةِ -قَدِيمِهَا وحَدِيثِهَا- الَّتِي تَزْخَرُ بِهَا مَكْتَبَتُنَا العَرَبِيَّةُ، وإِفَادَتِنَا مِنْ تَجَارِبِ غَيْرِنَا، مَعَ الحِفَاظِ عَلَى خُصُوصِيَّةِ ثَانَوِيَّاتِنَا الإِسْلامِيَّةِ.

وَحَرَصْنَا فِي إِعْدَادِهِ وَتَنْقِيحِهِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأُسُسِ اَلتَّرْبَوِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ المُسْتَوْحَاةِ مِنْ طَبِيعَةِ البِنْيَةِ المَنْطِقِيَّةِ فِي مَجَالِ البَلاغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَخَصَائِصِ نُمُوِّ الطَّلَبَةِ وَحَاجَاتِهِمْ إِلَى

دِرَاسَةِ البَلاغَةِ العَرَبِيَّةِ وَاِطِّلاعِهِمْ عَلَى مَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ أَسْلافُهُمْ مِنْ فَصَاحَةٍ وَبَلاغَةٍ وَبَيَانٍ، فَهُمْ أَبْنَاءُ اَلأُمَّةِ اَلَّتِي نَزَلَ فِيهَا اَلْقُرْآنُ، وَتَحَدَّاهُمْ رَبُّ اَلْعِزَّةِ فِي أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا لِسَبْقِهِمْ فِي هَذَا المِضْمَارِ.

وَكَانَتْ مِنْ أَسْمَى أَهْدَافِنَا إِطْلاعُ الطَّلَبَةِ عَلَى عُيُونِ البَلاغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَفُنُونِهَا، وَمَحَاسِنِهَا، والإِلْمَامُ بِنَشْأَتِهَا وَتَطَوُّرِهَا، وَتَعْرِيفُهُمْ بِأَبْرَزِ المَبَاحِثِ البَلاغِيَّةِ وَتَطْبِيقَاتِهَا، وَتَنْمِيَةُ اَلذَّوْقِ اَلْفَنِّيِّ عَنْ طَرِيقِ اَلْوُقُوفِ عَلَى بَعْضِ أَسْرَارِ الإِعْجَازِ فِي اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ، وَإِدْرَاكِ خَصَائِصِ اَلْجَمَالِ البَلاغِيِّ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَالاسْتِمْتَاعِ بِقِرَاءَةِ الآثَارِ اَلأَدَبِيَّةِ - اَلنَّثْرِيَّةِ وَالشِّعْرِيَّةِ - وَتَنْمِيَةِ اَلْمَهَارَاتِ اَلتَّحْلِيلِيَّةِ لِلنُّصُوصِ الأَدَبِيَّةِ لَدَى الطَّلَبَةِ، وفَهْمِهَا وإِبْرَازِ خَصَائِصِهَا الفَنِّيَّةِ، وَتَدْرِيبِهِم عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الأَسَالِيبِ البَلاغِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ، وَتَقْوِيَةِ قُدْرَتِهِم عَلَى إِنْشَاءِ الكَلامِ البَلِيغِ، وَالتَّعْبِيرِ عَنْ مَكْنُونَاتِ أَنْفُسِهِم بِأُسْلُوبٍ أَدَبِيٍّ جَيِّدٍ بِحَسَبِ مُقْتَضَيَاتِ قَوَاعِدِ البَلاغَةِ.

وَلِتَحْقِيقِ هَذِهِ الأَهْدَافِ قُمْنَا بِتَقْسِيمِ الكِتَابِ عَلَى وَحْدَتَيْنِ، تَضَمَّنَتِ الوَحْدَةُ الأُولَى دُرُوسًا فِي مَوْضُوعَاتِ عِلْمِ اَلْمَعَانِي، وَالوَحْدَةُ اَلثَّانِيَةُ دُرُوسًا فِي مَوْضُوعَاتِ عِلْمِ البَيَانِ، وَقَدْ صَدَّرْنَا كُلَّ وَحْدَةٍ بِأَهْدَافٍ تَرْبَوِيَّةٍ خَاصَّةٍ، وَوَضَعْنَا بَعْدَ الخُلاصَةِ فِي كُلِّ دَرْسٍ مُشَجَّرَاتٍ وَخَرَائِطَ كَانَ الغَرَضُ مِنْهَا مُسَاعَدَةَ اَلطَّلَبَةِ عَلَى تَوْضِيحِ اَلْقَوَاعِدِ البَلاغِيَّةِ، وَفَهْمِهَا وَجَمْعِ مَا تَنَاثَرَ مِنْهَا، ثُمَّ قَفَّيْنَاهَا نَشَاطٍ تَطْبِيقِيٍّ مُجَابٍ عَنْهُ، وأَثْرَيْنَا كُلَّ دَرْسٍ بِمَجَالٍ تَطْبِيقِيٍّ وَاسِعٍ وَمُتَنَوِّعٍ بَيْنَ آيَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَالحَدِيثِ اَلنَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَالأَقْوَالِ المَأْثُورَةِ، وَعُيُونِ الأَدَبِ العَرَبِيِّ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ مُحْتَوَاهَا؛ وَكُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ الارْتِقَاءِ بِذَائِقَةِ اَلطَّلَبَةِ، وَتَمَلُّكِهِمْ لِمَهَارَاتِ هَذَا الفَنِّ اللُّغَوِي الرَّاقِي، وَتَمْكِينِهِمْ مِنْ صِيَاغَةِ أَسَالِيبَ أَدَبِيَّةٍ فِيهَا جَمَالٌ وَإِبْدَاعٌ.

وَنَحْنُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ زُمَلاءَنَا مِنَ المُدَرِّسِينَ وَالمُدَرِّسَاتِ فِي ثَانَوِيَّاتِنَا الإِسْلامِيَّةِ، حَمَلَةَ رَايَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، حَرِيصُونَ أَشَدَّ الحِرْصِ عَلَى تَمْكِينِ طَلَبَتِنَا الأَعِزَّاءِ مِنَ الانْتِفَاعِ بِمَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الكِتَابُ مِنْ مَوَادَّ وَأَنْشِطَةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ وَتَرْبَوِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، لِكَوْنِهِمْ يَسْتَشْعِرُونَ ثِقَلَ الأَمَانَةِ المُلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِهِمْ، وَبِمَا يَمْلِكُونَ مِنْ طَاقَاتٍ إِبْدَاعِيَّةٍ، تَسْهُمُ فِي تَنْمِيَةِ مَعَارِفِ الطَّلَبَةِ وَمَهَارَاتِهِمُ اللُّغَوِيَّةِ، وَتَوْظِيفِهَا فِي مَجَالاتِ الحَيَاةِ المُخْتَلِفَةِ بِمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى وَطَنِهِمْ بِالْفَائِدَةِ المَرْجُوَّةِ فِي الحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

وإليكُم مَجْمُوعَة مِنَ الارْشَادَاتِ التي نَرى أنَّها تُسْهِم فِي تَذلِيل الصُعُوبات أمَام تَدرِيسِكُم المَادَّة، ولِتَحقِيقِ الأهْدافِ السَّابِقةِ يَحسُنُ بالمُدرّسِ أنْ يُراعي مَا يَأتي:

١ تحديد أهداف كل درس عند الإعداد له في كراسة التحضير.

٢ استعانة المُدرِّس باللوحة (السبورة)، وبالوسائل التعليمية الأخرى المناسبة.

٣ الحرص على اقتباس الأمثلة من القرآن الكريم منبع البلاغة وآية الإعجاز، ومن الحديث النبوي الشريف، ومن المنتقى من نصوص الأدب العربي -قديمه وحديثه-.

٤ لا يقتصر في استخلاص القواعد البلاغية على أمثلة محدودة مكررة، وإنّما تؤخذ من نصوص أدبية متنوعة تبرز القاعدة بوضوح.

٥ مراعاة أن تكون النماذج والأمثلة التي تساق في درس البلاغة ممثلة لعصور مختلفة، ولا تقف عند عصر بعينه ليقف الطلبة على ألوان متعددة من صور البلاغة، وأذواق الأدباء في شتى العصور.

٦ استخلاص القواعد البلاغية عن طريق النصوص الأدبية، وذلك بإيضاح النصوص وتحليلها، ومن ثم استنباط القاعدة في ضوء ذلك الأمر الذي يكون أدعى لترسيخ القاعدة في ذهن الطلبة، إذ إنّه توصل إليها بعد تشويق وتطلع.

٧ ألّا يقف الأمر بالمدرس عند مجرد استخلاص القواعد والتعريفات والمصطلحات البلاغية، من دون النظر إلى ما وراء ذلك من الكشف عن أسرار الجمال وربط الصور البلاغية ما أمكن بالحالة الوجدانية والنفسية.

٨ أن يحرص المدرس على إشراك الطلبة معه في توضيح النصوص والتذوق البلاغي لها، وتقويم أفكارها وعباراتها تقويمًا فنيًا، حتى يفسح لهم المجال لإظهار قدراتهم.

٩ أن يستهل الدرس الجديد بمناقشة سريعة، تهدف إلى ربط الموضوع الحالي في أذهان الطلاب بالموضوع السابق ما أمكن.

١٠ بعد التأكد من استيعاب الطلبة للدرس يكلف أحدهم بقراءة الموضوع في الكتاب المقرر، وتجرى بعض التمارين الشفوية، مع الاستعانة بالسبورة إذا لزم الأمر.

١١ العناية التامة بالدراسة التطبيقية والإكثار من التمرينات الشفوية والتحريرية وتخصيص جزء من الحصة لمناقشة أبرز الأخطاء المشتركة بين الطلبة، وفي هذا المضمار لا بُدَّ من مراعاة ما يأتي:

- أن تدور التمرينات حول عبارات ونصوص أدبية كاملة، ولا تقتصر على الجمل والفقرات والأبيات المفردة.
- أن يكون فيها شيء من إجراء الموازنات البلاغية بين نموذجين في فن بلاغي واحد.
- ألَّا تقف النصوص المختارة للتمرينات عند عصر بعينه، وأن يكون فيها نصيب للأدب الحديث.
- أن تكون بعض التمرينات تدريبًا للطلاب على إنشاء الكلام البليغ.

وَفِي الخِتَام فَإِنَّنَا نَسْأَلُ اَللَّهَ تَعَالَى أَنْ نَكُونَ قَدْ وفِّقْنَا لِخِدْمَةِ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ وَأَبْنَائِنَا الطَّلَبَةِ، وَنَرْجُو مِنَ الإِخْوَةِ المُشْرِفِينَ وَالْمُشْرِفَاتِ، والمُدَرِّسِينَ وَالْمُدَرِّسَاتِ، وَأَوْلِيَاءِ الأُمُورِ، أَلَّا يَبْخَلُوا عَلَيْنَا بِمَلْحُوظَاتِهِمْ الَّتِي سَتَلْقَى عِنْدَنَا الرِّعَايَةَ وَالِاهْتِمَامَ، وَتُسَاعِدُنَا فِي تَطْوِيرِ اَلْمَنْهَجِ.

وَاَللَّهُ مِنْ وَرَاءِ اَلْقَصْدِ وَهُوَ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

لَجْنَةُ الإِعْدَادِ وَالتَّنْقِيحِ

١

تمهيـــد

درس تعريفي

مفهوم علم البديع وأقسامه

كما هو معلوم عند كل ذي لب أنّ البلاغة: هي مُرتقَى علوم اللغة، وبها يُعلم غثُّ الكلام من سمينه، وقد أجاد علماؤنا العرب في تصنيف وترتيب علومها، فوضعوها على ثلاثة علوم مرتبة ترتيبًا تصاعديًّا بحسب صياغة الجملة وسبك المعنى وجودة الأداء، وهذه العلوم – على الترتيب – هي: علم المعاني، وعلم البيان، وقد سبق أن تعرفت عليهما في المرحلة السابقة، وعلم البديع هو المقرر لهذه المرحلة الدراسية إن شاء الله.

وعرفتَ فيما سبق أنَّ علم البيان وسيلة إلى تأدية المعنى بأساليبَ عدّة بين تشبيه ومجاز وكناية، وعرفت أن دراسة علم المعاني تُعِينُ على تأدية الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغيٍّ يُفْهِمُ ضمناً من سياقه وما يُحيط به من قرائن.

وهناك ناحية أخرى من نواحي البلاغة، لا تتناول مباحث علم البيان، ولا تنظر في مسائل علم المعاني، ولكنها دراسة لا تتعدى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنويِّ، ويسمَّى العلمُ الجامع لهذه المباحث بـ(علم البديع). إذًا فما هو مفهوم علم البديع؟

علم البديع في اللغة: كلمة (بديع) على وزن (فعيل) تأتي لغة بمعنى اسم الفاعل، وبمعنى اسم المفعول، يقال بدع فلان الشيء يبدعه بدعًا إذا أنشأه على غير مثال سبق، فالفاعل للشيء بديع، والشيء المفعول بديع أيضًا.

ويقال أيضًا: أبدع؛ أي: أتى بما هو مبتكر جديد بديع على غير مثال سبق، فهو مُبْدِعٌ والشيء مُبْدَعٌ، وفي التنزيل: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٩].

علم البديع في الاصطلاح: هو العلم الذي تعرف به المحسنات الجمالية المعنوية واللفظية المنثورة، التي لم تلحق بعلم المعاني، ولا بعلم البيان.

أ- **المحسنات الجمالية المعنوية:** هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية معنوية قد يكون بها أحيانًا تحسين وتزيين في اللفظ أيضًا ولكن تبعًا لا أصالة.

ب- **المحسنات الجمالية اللفظية:** هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية لفظية، قد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى أيضًا، ولكن تبعًا لا أصالة.

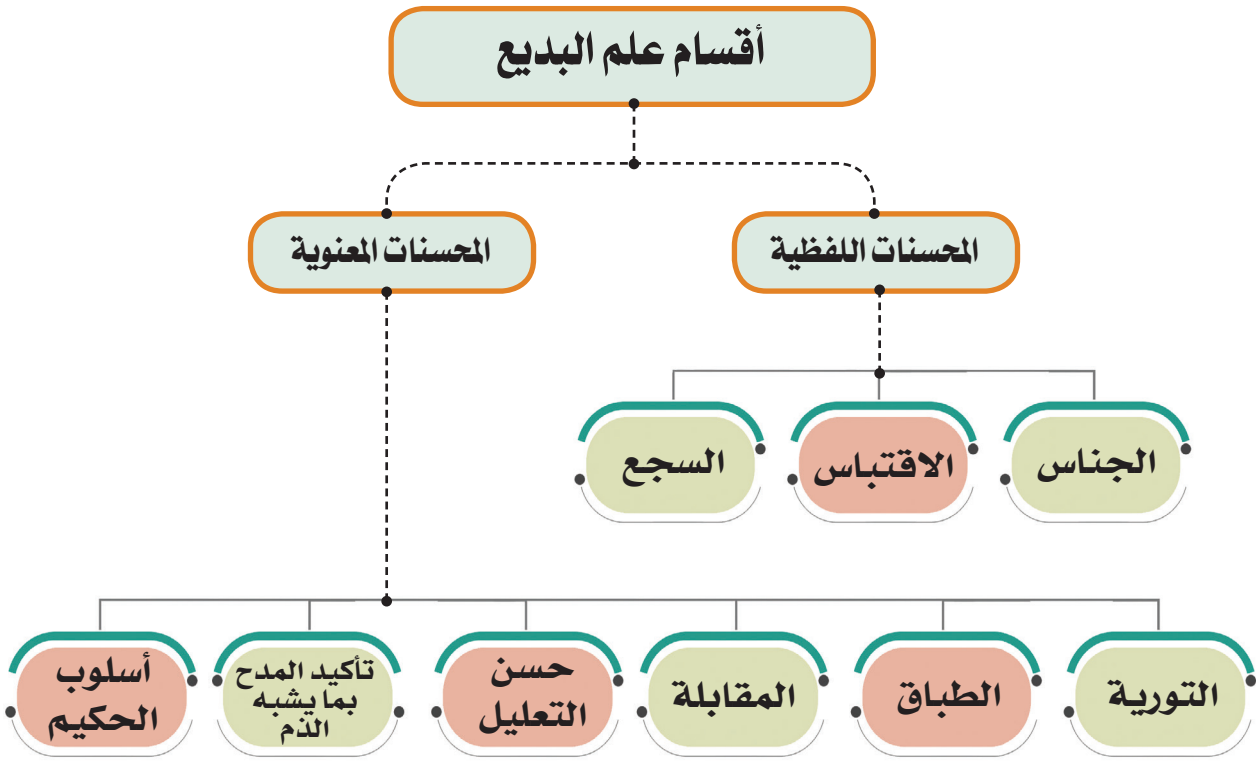

مخطط رقم (١) أقسام علم البديع

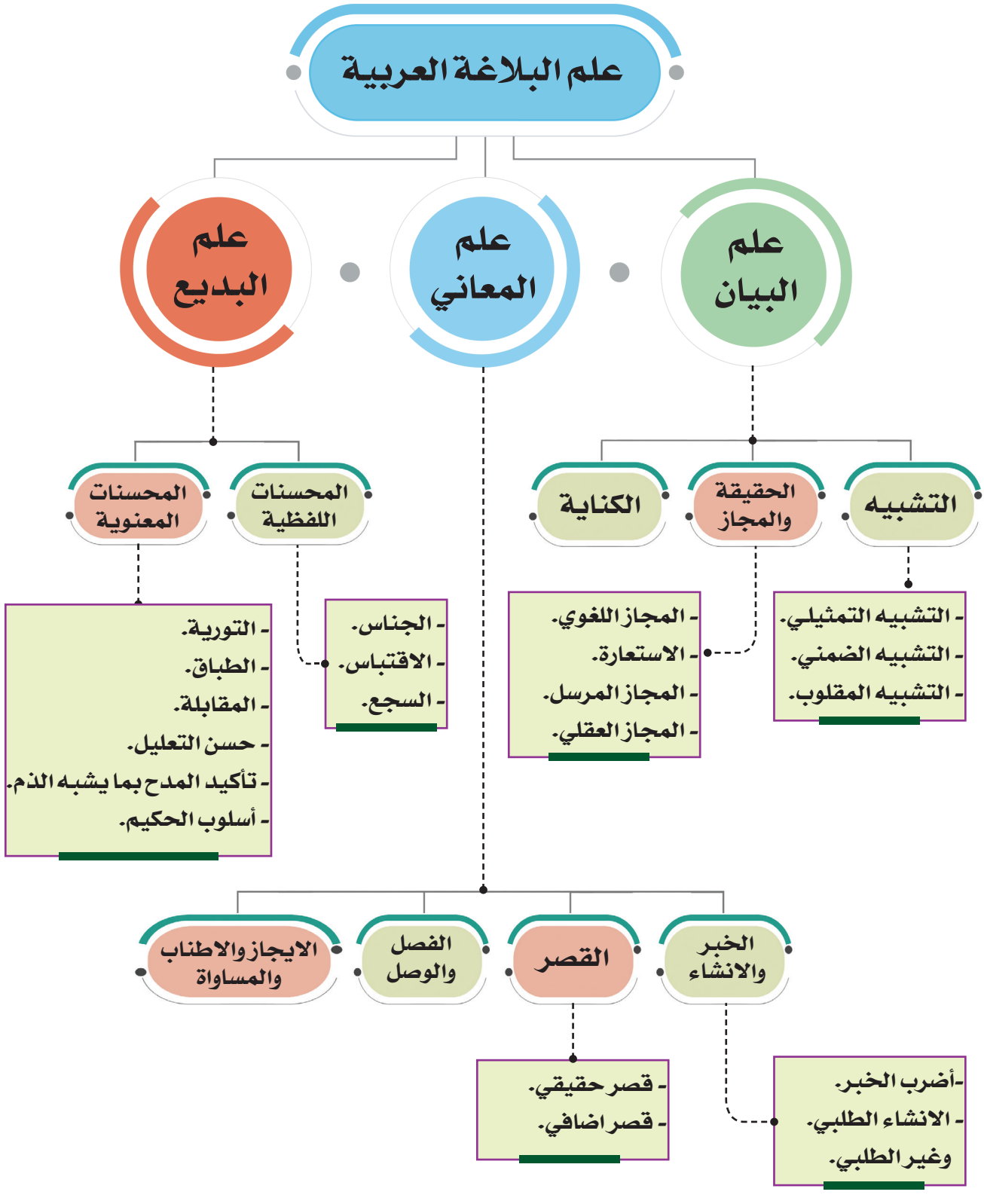

مخطط رقم (٢) علم البلاغة العربية

الوحدة الأولى

المحسنات اللفظية

عزيزي الطالب: بعد الانتهاء من دراستك لهذه الوحدة الدراسية يتوقع منك أن:

١. تذكر أقسام المحسنات اللفظية.

٢. تعرّف أقسام المحسنات اللفظية.

٣. تميّز بين أقسام المحسنات اللفظية.

٤. توضح أقسام المحسنات اللفظية بأمثلة معطاة.

٥. تمثل لأقسام المحسنات اللفظية أمثلة من إنشائك.

١ أولاً: الجناسُ

الأمثلـــة:

١ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الروم:٥٥].

٢ وقال الشاعر في رثاء صغير له اسمه يَحْيَى:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ ... ... إِلى رَدِّ أَمْرِ اللهِ فِيهِ سَبيلُ

٣ وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى:٩-١٠].

٤ وقال ابن الفارض:

هَلاَّ نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ امْرِئٍ ... ... لَمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ

٥ وقالت الخنساءُ من قصيدة تَرثي فيها أخاها صخرًا:

إِنَّ الْبُكاءَ هُوَ الشِّفَا ... ... ءُ مِنَ الجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِح

الشّرح والتّوضيح:

عزيزي الطالب: تأمل الأمثلة السابقة تجدْ في كل مثال كلمتين تجانس إحداهما الأخرى وتشاكلها في اللفظ مع اختلاف في المعنى؛ وإيرادُ الكلام على هذا الوجه يسمَّى جناساً.

ففي المثال الأول من الطائفة الأولى تجد أن لفظ (الساعة) مكررٌ مرتين، وأن معناه مرةً يومُ القيامة، ومرة إحدى الساعات الزمانية، وفي المثال الثاني

ترى "يَحْيى" مكررا مع اختلاف المعنى. واختلافُ كل كلمتين في المعنى على هذا النحو مع اتفاقهما في نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها يُسمَّى جناساً تامًّا.

وإذا تأمَّلَت كلَّ كلمتين متجانستين في الطائفة الثانية رأيت أنهما اختلفتا في ركن من أَركان الوفاق الأَربعة المتقدمة، مثل تقْهرْ وتَنْهَرْ، ونَهاكَ ونُهَاكَ، والجَوى والْجوانحِ، على ترتيب الأَمثلة، ويُسمَّى ما بين كل كلمتين، هنا من تجانس جناسًا غير تامٍّ.

والجناسُ في مذهب كثير من أهل الأدب غيرُ محبوب؛ لأَنه يؤدي إلى التعقيد، ويَحول بين البليغ وانطلاق عِنانه في مضمار المعاني اللهم إِلا ما جاءَ منه عفوًا وسَمحَ به الطبعُ من غير تكلفٍ.

الخلاصة

الجِنَاسُ: أَنْ يَتَشَابَهَ اللفظانِ في النُّطْق وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنى، وهو نَوْعانِ:

١ **تَامٌّ:** وهو ما اتَّفَقَ فيه اللفظان في أمورٍ أَربعةٍ هيَ: نَوْعُ الحُروفِ، وشَكلُهَا، وعَدَدُها، وتَرْتيبُها.

٢ **غَيْرُ تَامٍّ:** وهو ما اخْتَلَفَ فيه اللفظان في واحدٍ مِنَ الأمور الْمُتَقَدِّمة.

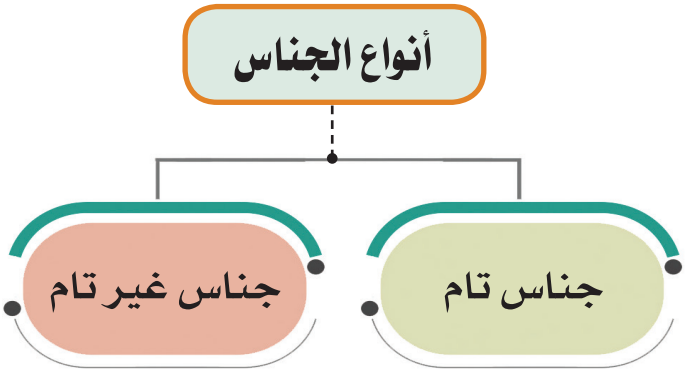

تمرينـــات

التمرين الأول

في كلِّ مثالٍ منَ الأمثلة الآتية جناسٌ تامٌّ، فبيِّن موضعَه:

١ **قال أبو تمام:**

ما مات مِنْ كرمِ الزمان فإنَّه ... ... يحْيا لَدى يحْيى بْنِ عبد الله

٢ **قال أبو العلاءِ المعري:**

لَمْ نَلْقَ غَيْرَكَ إِنْساناً يُلاذُ بهِ ... ... فَلا برحْتَ لِعيْنِ الدهْرِ إِنْسانا

٣ **قال أبو الفتح البُسْتِيُّ:**

فَهمْتُ كتَابك يا سيِّدِي ... فَهمْتُ ولاَ عجبٌ أنْ أهِيما

٤ **وقال أبو نُواس:**

عبَّاسُ عبَّاسٌ إِذَا احتَدَم الوغَى ... ... والفَضْلُ فَضْلٌ والربيعُ ربيعُ

التمرين الثاني

في كلِّ مثالٍ منَ الأمثلة الآتية جناسٌ غيرُ تامٍّ، فوضحْه وبيِّنْ لم كان غيرَ تامٍّ؟:

١ **قال تعالى:** ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾ [النساء:٨٣].

٢ **وقال تعالى:** ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنعام:٢٦].

٣ **وقال ابن جُبير الأندلسي:**

فَيا راكِبَ الوجْنَاءِ هل أنْت عالِمٌ ... ... فِداؤُكَ نَفْسِي كيْفَ تلكَ المَعالِمُ

٤ وقال عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمدحُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيل إنه أمدح بيت قالته العربُ:

تحْمِلُهُ النَّاقةُ الأدْماءُ مُعْتَجِرًا ... ... بالبُردِ كالبدْرِ جلَّى ليلةَ الظُّلَمِ

التمرين الثالث

بيِّنْ مواضعَ الجناسِ فيما يأْتي وبينْ نوعه في كلِّ مثالٍ:

١ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر:٧٥].

٢ وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

٣ وقال البحتري:

نَسيمُ الرَّوْضِ في رِيحِ شَمَالٍ وَصَوْبُ المُزْنِ في رَاحٍ شَمُولِ

٤ وقال أبو تمام:

بيضُ الصفَائح لا سُودُ الصَّحائِفِ في ... ...مُتُونِهن جلاءُ الشَّكِّ والريبِ

٥ وقال حسان بن ثابت:

وكُنّا مَتَى يَغْزُ النبيُّ قبيلَةً نصلْ حافتيهِ بالقنا والقنابلِ

٦ لا تُنالُ الغُرَرُ إلا بركوب الغَرَر.

التمرين الرابع

هات مثالين منْ إنشائك للجناس التامِّ، ومثالين آخرين لغير التام، وراع ألاَّ يظهرَ في كلامك أثرٌ للتكلف.

التمرين الخامس

اشرحْ قولَ أبي تمام وبينْ نوعَ الجناس الذي فيه:

ولَمْ أَرَ كالمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُه ... مَغَارمَ في الأقوامِ وَهْيَ مَغَانِمُ

٢ ثانياً: الاقْتِباسُ

الأمثلـــة:

١ قال عبد المؤمن الأصفَهانيُّ:

لا تَغُرَّنَّك مِن الظَّلَمَةِ كثْرة الجيوش والأَنصار ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

٢ وقال ابن سناء المُلك:

رَحَلُوا فَلَستُ مُسَائِلاً عَنْ دَارِهِمْ أنَا «بَاخِعٌ نَفْسِي عَلَى آثَارِهِمْ»

٣ وقال أبو جعفر الأندلسيُّ الغرناطي:

لا تُعادِ النَّاسَ في أَوْطانِهمُ ... قَلَّما يُرْعى غَريبُ الوَطَنِ

وإذا ما شئتَ عَيْشاً بينهُمْ ... «خالِقِ النَّاسَ بخُلْقٍ حَسَنِ»

الشّرح والتّوضيح:

عزيزي الطالب: اقرأ الأمثلة السابقة تجد أنّ العبارتينِ اللتينِ بينَ الأقواس في المثالين الأَولين مأْخوذتانِ من القرآن الكريم، والعبارة التي بين قوسين في المثال الثالث من الحديث الشريف، وقد ضمَّن الكاتبُ أو الشاعر كلامه هذه الآثار الشريفة من غير أن يُصرِّح بأنها من القرآن أو الحديث وغرضه من هذا التضمين أن يسْتعيرَ من قوتها قوة، وأن يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه، وهذا النوع يسمَّى اقتباساً، وإذا تأملتَ رأيتَ أن المُقْتَبس قد يُغَيِّر قليلاً في الآثار التي يقْتَبِسُها كالمثال الثاني إذ الآية: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾.

الخلاصة

الاقْتِباسُ: تَضْمِينُ النَّثْر أو الشِّعر شَيْئًا مِنَ الْقُرآن الكريم، أو الحديثِ الشريفِ مِنْ غَيْر دلالةٍ عَلَى أنَّهُ منهما، ويَجُوز أنْ يُغَيِّرَ في الأَثَر المُقْتَبِس قَليلًا .

تمرينـــات

التمرين الأول

بيِّنْ في كلِّ اقتباس مما يأتي حُسْنَ تأتِّي البليغ في إحكام الصلة بين كلامه والكلام المُقتَبس:

١ اغتنم فودك الفاحمَ قبل أن يبْيضَّ، فإنما الدُّنيا ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ .

٢ قال في حمام الزَّاجل:

وقد كادت أن تكونَ من الملائكةِ فإذا نيطَتْ بها الرِّقاع صارت ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾.

٣ ومن كتاب لمُحْيي الدين عبد الظاهر:

لا عدِمت الدولة بيضَ سيوفهِ التي ﴿تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ﴾.

٤ وقال الصاحب:

أَقُولُ وَقدْ رأَيْتُ لَهُ سَحابًا ... مِنَ الهجْرانِ مُقْبِلَةً علينَا
وقدْ سَحَّتْ عَزَاليها بهَطْلٍ ... حَوَالينَا الصُّدُودُ ولا علينَا

٥ وقال الشاعر:

رُبَّ بخيـــلٍ لَـوْ رأى سائـــلاً ... ... لَظَنَّهُ رُعْباً رسُولَ المنُونِ
لاَ تطْمعوا في النَّزْرِ من نَيْله ... ... ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾

التمرين الثاني

اقتبسِ الآياتِ الكريمةَ الآتيةَ مع إجادة الاقتباس وإحكامه:

١ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

٢ وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣].

٣ وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

٣ و قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤].

٣ و قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

التمرين الثالث

صُغْ عباراتٍ تَقْتَبِسُ في كلٍّ منها حديثاً من الأحاديث الشريفةِ الآتية مع العناية بحسنِ وضعها:

١ «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ».

٢ «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

٣ «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٤ «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ...».

التمرين الرابع

اشرح قول ابن الرومي في الهجاء، وبين حسن الاقتباس فيه.

لَئن أَخْطأْتُ في مدْحِيـ ... ـكَ ما أَخْطَأْتَ في منْعي

لَقَدْ أَنزلْتُ حاجـاتي ... ... ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾

٣ ثالثاً: السَّجْعُ

الأمثلـــة:

١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا).

٢ وقال أعرابيٌّ ذَهَبَ بابنه السَّيْل: (اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ قَدْ أَبْلَيْتَ، فَإِنَّكَ طَالَمَا قَدْ عَافَيْتَ).

٣ الحُرُّ إِذَا وَعَدَ وَفَى، وإِذَا أَعَانَ كَفَى، وإِذَا مَلَكَ عَفَا.

الشّرح والتّوضيح:

عزيزي الطالب: إذا تأملت المثالين الأولين وجدت كلًّا منهما مركبًا من فِقْرَتَين متحدتين في الحرف الأَخير، وإذا تأَملت المثال الثالث وجدته مركبًا من أكثر من فقرتين متماثلتين في الحرف الأَخير أيضًا، ويسمَّى هذا النوع من الكلام سجعًا، وتسمَّى الكلمة الأخيرة من كل فقرة فاصلةً، وتُسكَّن الفاصلةُ دائمًا في النثر للوقف.

وأفضل السجع وأحسنه وأشرفه منزلة للاعتدال الذي فيه، هو ما تساوت فقراته في عدد الكلمات، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ٩-١٠]، وقوله تعالى أيضًا: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾

[الواقعة: ٢٨-٣٠].

ثم ما طالت به الفقرة الثانية عن الأولى طولًا لا يخرج بها عن الاعتدال كثيرًا وذلك لئلّا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ١-٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدّٗا ۝٩٠﴾ [مريم: ٨٨-٩٠]، فإن الفقرة الأولى ثمان لفظات والثانية تسع.

ثم ما طالت فقرته الثالثة نحو قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].ولا يحسنُ السجعُ إلّا إذا كان رصين التركيب، سليمًا من التكلف، خاليًا منَ التكرار في غير فائدة، كما رأيت في الأمثلة السابقة.

وسر جمال هذا الأسلوب يتمثل في الإيقاع الذي يولده تناغم الكلمتين بسبب ذلك التوافق اللفظي، وللسجع عند علماء القراءات اسم آخر هو: (توافق الفواصل)، أو (توافق رؤوس الآي)؛ وذلك تمييز لكلام الله عن كلام البشر.

الخلاصة

١ **السَّجْعُ:** تَوَافُقُ الْفَاصِلَتَيْن من النثر على حرف واحد وهو الْحَرْف الأخير.

٢ **أَفْضَلُ السجع:** ما تَسَاوَتْ فِقَرُهُ، ثم ما طالت به الفقرة الثانية عن الأولى طولًا لا يخرج بها عن الاعتدال كثيرًا، ثم ما طالت فقرته الثالثة.

تمرينـــات

التمرين الاول

بيِّن السجعَ في الأمثلة الآتية، ووضِّح وجوه حسنه:

١. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رحِم اللهُ عبْدًا قال خَيْرًا فغنم، أوْ سكتَ فسلِم».

٢. قال الثعالبيُّ: ((الحِقْدُ صدأُ القلوب، واللَّجاجُ سببُ الحروب)).

٣. وقال الحريري: ((ارتفاعُ الأخطارِ، باقتحام الأَخطار)).

٤. وقال بعض البلغاء: ((الإنسانُ بآدابه، لا بزيِّه وثيابه)).

٥. وقال أعرابيٌّ لرجل سأَل لئيمًا: ((نَزَلْتَ بوادٍ غَيْرِ ممْطورٍ، وفناءٍ غَيْرِ معمورٍ، ورجُلٍ غيرِ ميْسورٍ، فأَقمْ بنَدمٍ، أَو ارتحلْ بعدمٍ)).

التمرين الثاني

اقرأ الرسالة الآتية، وبيِّن جمالَ السجع فيها، ثم حُلّها وابْنها بناءً آخر لا سجع فيه.

كتب ابن الرومي إلى مريض: ((أذنَ الله في شفائِك، وتلقَّى داءَك بدوائك، ومسحَ بيدِ العافية عليك، ووجَّه وفدَ السلامة إليك، وجعل عِلَّتَك ماحيةً لذنوبك، مضاعفةً لمثوبتك)).

التمرين الثالث

بيِّن أمِن المسجوع أم مِنَ المُرسلِ ما يأْتي ووضِّح السببَ:

كتب هشام لأخيه وكان أظهر رغبته في الخلافة: ((أما بعد، فقد بلغني اسْتِثْقَالُك حياتي، واستبطاؤك مماتي، ولعَمري إنك بعدي لواهي الْجَنَاح، أجذَمُ الكفِّ، وما استوجبتُ منك، ما بلغني عنك)).

الوحدة الثانية

المحسنات المعنوية

عزيزي الطالب: بعد الانتهاء من دراستك لهذه الوحدة الدراسية يتوقع منك أن:

١. تذكر أقسام المحسنات المعنوية.

٢. تعرّف أقسام المحسنات المعنوية.

٣. تميّز بين أقسام المحسنات المعنوية.

٤. توضح أقسام المحسنات المعنوية بأمثلة معطاة.

٥. تمثل لأقسام المحسنات المعنوية بأمثلة من إنشائك.

١ أولاً: التورية

الأمثلـــة:

١ قال سِرَاجُ الدين الوَرَّاق:

أصُونُ أديمَ وجهي عَن أُنَاس ... ...لقاءُ الموتِ عِنْدهُم الأديبُ

وَرَبُّ الشعر عندهُمُ بَغِيضٌ ... ... وَلَوْ وَافَى بهِ لَهُـمُ "حبَيـبُ"

٢ وقال نَصِيرُ الدين الحَمَّامي:

أبْيَاتُ شِعْرك كالقُصـ ... ...ـور ولا قُصُورَ بهَا يَعوقْ

ومنَ العجَائبِ لَفْظُها ... ...حُـرٌّ ومعناهـا "رَقيـقْ"

٣ وقال الشَّابُّ الظريف:

تَبَسَّمَ ثغْرُ البانِ عَنْ طِيبِ نَشْرِهِ ... وأَقْبَلَ في حُسْنٍ يَجِلُّ عن الوَصْفِ

هَلُمُّوا إِليـه بَيـنَ قَصْفٍ ولـذَّةٍ ... فإِنَّ غصونَ الزَّهْر تَصْلُحُ "للقَصْفِ"

الشّرح والتّوضيح:

عزيزي الطالب: عُدْ إلى الأمثلة السابقة تجد كلمة (حَبيبٍ) في المثال الأول لها معنيان: أحدهما: المحبوب وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهنْ؛ بسبب التمهيد له بكلمة (بغيض)، والثاني: اسم أبي تمام الشاعر وهو حبيبُ بنُ أَوْس، وهذا المعنى بعيد، وقد أَراده الشاعر ولكنه تَلطف فَورَّى عنه وستره بالمعنى القريب.

وكلمة (رقيق) في المثال الثاني لها معنيان: الأول: قريب متبادر وهو العبد المملوك؛ وسببُ تبادُره إلى الذهن ما سبقه من كلمة (حُرّ)، والثاني: بعيد وهو اللطيف السهل، وهذا هو الذي يريده الشاعر بعد أَن ستَره في ظل المعنى القريب.

وكلمة (القَصْفِ) في المثال الثالث معناها القريب الكسْر، بدليل تمهيده لهذا المعنى بقوله: (فإنَّ غصون الزهر) ومعناها البعيد اللعب واللهو، وهذا هو المعنى الذي قصد إليه الشاعر بعد أَن احتال في إخفائه ويسمَّى هذا النوع من البديع تورية، وهو فنٌّ بَرَعَ فيه شعراء مصر والشام في القرن السابع والثامن من الهجرة، وأَتوْا فيه بالعجيب الرائع الذي يدلُّ على صفاءَ الطبع والقدرة على اللعب بأَساليب الكلام.

الخلاصة

التَّوْرِيَة: أَنْ يَذْكُرَ المتكلِّمُ لَفْظًا مُفْردًا له مَعْنَيانِ، قَريبٌ ظاهِر غَيْرُ مُرَادٍ، وَبَعيدٌ خَفيٌّ هُوَ المُرادُ.

تمرينـــات

التمرين الأول

اشرح التورية في كلِّ مثال من الأمثلة شرحًا وافيًا:

١ **قَال سراجُ الدين الورَّاق:**

كمْ قَطع الْجُنُودُ من لِسانٍ ... ... قلّـدَ مِنْ نظْمِـهِ النحُورا

فَهـا أَنَا شَاعـرٌ سِـــراجٌ ... ... فاقْطَعْ لِساني أَزِدْكَ نُورا

٢ **وقال أيضًا:**

يا خَجْلَتي وصحائِفي سودٌ غَدتْ ... ... وصحائِفُ الأبرار في إشراق

ومُؤنِّب لِي في القيامـةِ قال لـي ... ... أكَذَا تكون صحائفُ "الورَّاق؟"

٣ **وقال أبو الحسين الجزار:**

كيْفَ لا أشكرُ الجِزارَة ما عِشْـ ... ...ـتُ حِفاظاً وأهْجُرُ الآدابـا؟

وبها صارت الْكلابُ تُرجِّيـ ... ...ـني وبالشِّعْر كُنتُ أَرجُو الكلابا

٤ **وقال بدْرُ الدين الذهبيُّ:**

رِفْقًا بخِّـلٍ ناصـح ... ... أَبلَيْتَهُ صَـدًّا وهَجْـرا

وافاك سائلُ دمْعِهِ ... ... فَردَدْتَهُ في الحال نَهْرا

٥ **وقال الشاعر:**

يا عاذلي فيه قلْ لي ... ...إذا بَدَا كَيْف أَسْلُو؟

يمُـرُّ بي كل وقْـتٍ ... ... وكلَّمـا مـرَّ يحلُـو

٦ وقال ابن الظاهر:

شُكْرًا لِنَسمةِ أَرْضِكم ... ... كم بَلَّغَتْ عنِّي تَحِيهْ

لا غرْوَ إن حفِظَت أَحا ... ...ديثَ الهوى فهي الذَّكِيَّهْ

التمرين الثاني

لكلٍّ منَ الألفاظ الآتية أكثرُ من معنًى، فاستعمل كلَّ لفظٍ في مثالٍ للتورية.

الجَدُّ . الراحةُ . القُصُورُ . قضَى . الجُفُونُ

التمرين الثالث

في أيِّ شيءٍ تُوافقُ التوريةَ الْجنَاسَ التامَّ، وفي أي شيءٍ تخالفهُ؟ مثِّل بمثال للتوريةِ، ثم حوله إلى الجناس التامِّ.

التمرين الرابع

هل تستطيعُ أن تضعَ كلمةَ التورية في العبارات الآتية:

١ اشتدَّ حزنُ الرياضِ على الربيع وَجَمَدتْ ...

٢ الحمَامُ أَبلغ منَ الكتاب إذا ...

٣ قلبي جارُهم يوم رَحلوا ودمعي ...

التمرين الخامس

اشرحْ قول ابن دَانْيال طبيبِ العيون وبيِّن ما فيه منْ حلاوة التورية:

يا سائلِي عنْ حِرْفتي في الورَى ... ... وا ضَيْعتي فيهم وإِفلاسي!

ما حـالُ منْ دِرْهَـمُ إنْفـاقِـهِ ... ... يأْخـذُه منْ أَعْيـنِ الناسِ؟

٢ ثانياً: الطِّباقُ

الأمثلـــة:

١ قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف:١٨].

٢ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَة لِعَيْنٍ نَائمة).

٣ وقال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾ [النساء:١٠٨].

٤ وقال السموأل:

ونُنكِرُ إن شِئنا على النّاسِ قولَهم ولا يُنكِرونَ القولَ حينَ نَقولُ

الشّرح والتّوضيح:

عزيزي الطالب: إذا تأملت الأمثلةَ المتقدمةَ، وجدت كُلًّا منها مشتملًا على شيءٍ وضده، فالمثال الأول مشتمل على الكلمتين: (أيقاظاً)، و(رقود) والمثال الثاني مشتمل على الكلمتين: (ساهرة) و(نائمة).

أما المثالان الأخيران فكل منهما مشتمل على فعلين من مادة واحدة أَحدهما إيجابي (لا تسبقه أداة نفي) والآخر سَلبي (سبقته أداة نفي)، وباختلافهما في الإيجاب والسلب صارا ضدين، ويسمَّى الجمع بين الشيءِ وضده في الأَمثلة المتقدّمة وأَشباهها طباقاً، غير أَنه في المثالين الأَولين يدعَى (طباق الإيجاب)، وفي المثالين الأخيرين يدعَى (طباق السلب).

الخلاصة

الطِّباقُ: الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وضِدّه في الكلام، وهوَ نَوْعان:

١ **طِبَاقُ الإيجاب:** وَهُو ما لَمْ يَختَلِفْ فِيهِ الضدَّان إِيجَاباً وَسَلْبًا.

٢ **طِبَاقُ السَّلبِ:** وَهُو ما اخْتَلَف فِيه الضِّدان إِيجَاباً وسَلْبًا.

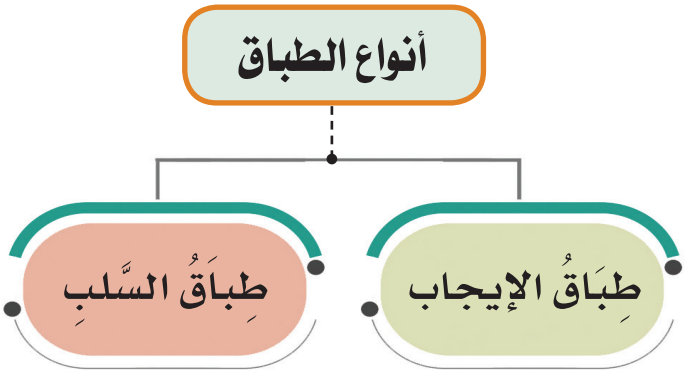

تمرينـــات

التمرين الأول

بيِّن مواضعَ الطباقِ في الأمثلة الآتية، ووضحْ نوعه في كل مثال:

١ **قال تعالى:** ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام:١٢٢].

٢ **وقال دِعْبل الخُزاعيُّ:**

لا تعجبي يا سلْمُ مِنْ رجُلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فَبكَى

٣ **وقال البحتريُّ:**

تُقَيّضُ لي من حيثُ لا أعلَمُ النّوَى وَيَسْرِي إليّ الشّوْقُ من حَيثُ أعلَمُ

٤ **وقال تعالى:** ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧﴾ [الروم/٦-٧].

٥ **وقال تعالى:** ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٦].

٦ **وقال السموأل بن عادياء:**

سَلِي، إنْ جَهِلْت، النَّاسَ عَنَّا وعَنْهُمُ ... فليْسَ سَواءً عالِمٌ وجَهُولُ

٧ **قال الحماسيُّ:**

تأَخَّرْتُ أَسْتَبْقي الْحياةَ فَلَم أَجِدْ ... لِنَفْسي حياةً مِثل أَنْ أَتَقَدّما

التمرين الثاني

أجب عمَّا يأتي:

١. مثِّلْ لكلٍّ من طباق الإيجاب وطباق السلب بمثالين من إنشائك.

٢. هات مثالاً لطباق الإيجاب، ثم حوله إلى طباق السلب.

٣. هات مثالاً لطباق السلب، ثم حوله إلى طباق الإيجاب.

التمرين الثالث

حول طباقَ الإيجابِ في الأمثلة الآتية إلى طباق السلبِ:

١. العدوُّ يُظهرُ السيئةَ ويُخْفي الحسنةَ.

٢. ليس من الحزمِ أنْ تُحسِن إلى الناس وتسيءَ إلى نَفْسكَ.

٣. لا يليقُ بالمُحْسن أن يُعْطيَ البعيدَ ويمْنَعَ القريبَ.

التمرين الرابع

حول طباقَ السلب في الأمثلة الآتية إلى طباق الإيجاب:

١. يَعْلم الإنسانُ ما في اليومِ والأمسِ، ولا يعلمُ ما يأتي به الغدُ.

٢. اللئيمُ يعْفُو عند العجزِ، ولا يعفو عند المقدرةِ.

٣. أحبُّ الصدقَ ولا أحبُّ الكذبَ.

التمرين الخامس

اشرح البيت الآتي، وبيِّن نوع الطباق به قال الفرزدق:

والشَّيْب ينْهَضُ في الشَّبابِ كأَنه لَيْلٌ يَصِيحُ بِجانِبَيْهِ نَهارُ

٣ ثالثاً: المقابلة

الأمثلـــة:

١ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصار: (إنكم لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ، وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ).

٢ وقال خالد بنُ صَفْوَانَ يَصِفُ رَجُلًا: (لَيْسَ له صديقٌ في السِّر، وَلا عَدُوٌّ في الْعلانِيَةِ).

٣ قال بعضُ الخلفاء: (مَنْ أقْعَدَتْه نِكايَةُ اللِّئام، أَقَامَتْهُ إعانةُ الكِرام).

٤ وقال عبد الملك بن مَرْوان: (مَا حَمِدْتُ نَفْسي عَلَى محبوب ابتدأْتُه بعَجْزٍ، ولا لُمْتهَا عَلَى مكروه ابتدأْتُه بحزم).

الشّرح والتّوضيح:

عزيزي الطالب: إذا تأملت مثاليّ الطائفة الأولى وجدت كل مثال منهما يشتمل في صدره على معنيين، ويشتمل في عجزه على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب، ففي المثال الأول بيَّن النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِفتين من صفات الأنصار في صدر الكلام وهما الكثرة والفزع، ثم قابل ذلك في آخر الكلام بالقلة والطمع على الترتيب، وفي المثال الثاني قابل خالد بن صفوان الصديق والسرّ بالعدو والعلانية.

انظر مثالي الطائفة الثانية تجد كلًّا منهما مشتملًا في صدره على أكثر من معنيين، ومشتملاً في العجز على ما يقابل ذلك على الترتيب، وأداءُ الكلام على

هـذا النحو يسـمَّى مقابلةً.

والمقابلةُ فـي الـكلام من أَسـباب حسـنه وإيضـاح معانيـه، علـى شـرط أَن تتـاح للمتكلم عفـوًا، وأَمـا إِذا تكلفهـا وجـرى وراءهـا، فإنهـا تعتقـل المعانـي وتحبسـها، وتحـرم الـكلام رونـق السـلاسـة والسـهولة.

الخلاصة

الْمُقَابَلَة: أنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْن أوْ أكْثَرَ، ثم يُؤْتَى بمَا يُقَابلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرتِيب.

تمرينـــات

التمرين الأول

بيِّن مواقعَ المقابلةِ فيما يأْتي.

١ **قال تعالى:** ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[الأعراف:١٥٧].

٢ **قال تعالى:** ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد:٢٣].

٣ عَنْ أمّ المُؤمنين السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (**إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إِلاَّ شَانَهُ**).

٤ **وقال بعضُ البلغاء:** (كَدَرُ الجماعة خيرٌ من صَفْو الفُرقَة).

٥ **وقال جرير:**

وباسِطَ خيرٍ فيكُمُ بيمينِه ... وقابِضَ شرٍّ عنكُمُ بشِمالِه

٦ **وقال البحتريُّ:**

فإذا حَارَبُوا أذَلّوا عَزِيزاً ... وإذا سَالَمُوا أعَزّوا ذَليلا

٧ **وقال المعريُّ:**

يا دهْرُ يا مُنجزَ إيعادِهِ ... ... ومُخْلِفَ المأْمول مِنْ وعْدِه

التمرين الثاني

ميِّز الطباقَ منَ المقابلة فيما يأْتي:

١ قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان:٧٠].

٢ وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [النجم/٤٣ ٤٤].

٣ وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام:١٢٥].

٤ وقال أبو الطيب:

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشفَعُ لي وَأَنثَني وَبَيَاضُ الصّبحِ يُغري بي

٥ وقال المنصورُ: (لا تخرجوا منْ عزِّ الطاعة إِلى ذلِّ المعصية).

٦ قال أوْس بن حَجر:

أَطَعْنَا رَبَّنَا وَعَصَاهُ قَوْمٌ فَذُقْنَا طَعْمَ طَاعَتِنا وَذاقُوا

التمرين الثالث

إيتِ بمقابل الألفاظ الآتية، ثم كوِّن منها ومن أَضدادها بعض أَمثلة للطباق، وبعض أَمثلة أُخرى للمقابلة:

الليلُ . الصحةُ . الحياةُ . الخيرُ . الغنَى.

التمرين الرابع

أجب عما يأتي:

١ هات مثالاً للمقابلة تُقابل فيه معنيين بآخرين.

٢ هات مثالاً للمقابلة تُقابل فيه ثلاثة معان بثلاثة أُخرى.

٣ اشرح البيت الآتي، وهل ترى أنَّ الشاعر وُفِّق فيه إلى المقابلة؟

قال المتنبي:

لمَنْ تَطْلُبُ الدّنْيا إذا لم تُرِدْ بها سُرُورَ مُحِبٍّ أوْ مَساءَةَ مُجرِمِ

الأمثلـــة:

١ قال المعري في الرثاء:

وَمَا كُلْفَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةً ... ... وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطْمِ

٢ وقل ابن الروميِّ:

أَما ذُكاءُ فَلَمْ تَصْفَرَّ إِذْ جَنَحَتْ ... ... إلا لِفُرْقَةِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ

٣ وقال معروف الرصافي:

يَا مَنْ قَضَى بَيْنَ المِيَاهِ غَرِيقَا ... ... أَذْكَى فِرَاقُكَ فِي القُلُوبِ حَرِيقَا

قَدْ كُنْتَ فِينَا دُرَّةً فَلأَجْلِ ذَا ... ... تَخِذَ الحِمَامُ لَكَ المِيَاهَ طَرِيقَا

الشّرح والتّوضيح:

عزيزي الطالب: اِقرأ البيت الشعري الأول تجد أنّ الشاعر أبا العلاء يرثي، ويبالغ في أن الحزن على المرثي شَمِل كثيرًا من مظاهر الكون، فهو لذلك يدّعي أَن كلفةَ البدر وهي ما يظهر على وجهه من كدْرة، ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من اللطم على فراق المرثي.

ويرى ابن الرومي في البيت الثاني أَنَّ الشمس، لم تَصفَرَّ عند الجنوح إلى المغيب للسبب الكوني المعروف عند العلماء، ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح.

وفي البيت الثالث تجد أنّ الشاعر معروف الرصافي لم يعلل الغرق تعليلاً حقيقيًا، بل اخترع علة بديعة من وحي خياله، فالغريق قصد مكانه الطبيعي؛ لأنه درّةٌ ثمينة، والبحر بالدُّرِّ أولى من الثرى.

فأَنت ترى في كل مثال من الأَمثلة السابقة أنَّ الشاعر أَنكر سبب الشيء المعروف والتجأَ إلى علة ابتكرها تناسب الغرض الذي يرمي إليه، ويسمَّى هذا الأُسلوب من الكلام بـ(حسن التعليل).

الخلاصة

حُسنُ التَّعْليل: أنْ يُنْكِرَ الأَديبُ صَرَاحَةً أوْ ضِمْنًا عِلَّةَ الشَّيْءِ الحقيقية والْمَعْرُوفَةَ، وَيَأْتي بعلَّة أَدَبيَّة طَريفَة تُنَاسِبُ الغَرَضَ الَّذي يَقْصِدُ إِلَيْه، أو هو أنْ يَدَّعِي نَاثِرٌ أو شَاعِرٌ لِوَصْفٍ مِنَ الأَوصَافِ عِلَّةً مُنَاسِبَةً غَيْرَ حَقِيقِيَّة عَلَى جِهَةِ التَّخْيِيلِ والتَّظَرُّف.

تمرينـــات

التمرين الأول

وضحْ حُسْنَ التعليل في الأبيات الآتية:

١ **قال ابن نباتة:**

لَمْ يزَلْ جُودُه يَجُورُ عَلَى المَالِ ... ... إِلَى أَنْ كَسَا النُّضَارَ اصْفِرارَا

٢ **وقال بعضهم يرثي كاتبًا:**

أَسْتَشْعَرَ الكُتَّابُ فَقْدَكَ سَالِفًا وَقَضَتْ بِصِحَّةِ ذَلِكَ الأيّامُ

فَلِذَلِكَ سُوِّدتِ الدُّوِيُّ كَآبَةً أَسَفًا عَلَيْكَ وَشُقّتِ الأَقْلامُ

٣ **وقال عبد الملك بن إدريس الحريريّ وكان بين يدي المنصور أبي عامر في ليلة يبدو فيها القمر تارةً ويختفي بالسَّحاب تارةً:**

أَرَى بَدْرَ السَّماءِ يلوحُ حيناً ... ويبدُو ثمَّ يلتحِفُ السَّحَابَا

وذاكَ لأنَّه لمَّا تبدَّى ... وأبصرَ وجهكَ اسْتَحْيا وغابَا

٤ **وقال ابن قلاقس في وصف فرس أدْهم ذِي غرَّة:**

وأَدهمَ كالغُرابِ سَوادَ لَوْنٍ ... يَطيرُ معَ الرِّياحِ ولا جَنَاحُ

كساهُ اللَّيْلُ شملتَهُ وولَّى ... فقبَّلَ بينَ عينيهِ الصَّباحُ

٥ **وقال ابن نُباتة السعدي في فرس محجَّل ذي غُرة:**

وأَدْهَمَ يستَمِدُّ اللّيلُ مِنْهُ ... ... وتَطْلُعُ بيْنَ عيْنيْهِ الثّريَّا

سرَى خَلْفَ الصَّباحِ يطيرُ زَهْوًا ... ... ويَطْوي خَلْفَهُ الأَفلاكَ طيًّا

فلما خَافَ وشْكَ الْفَوْتِ مِنْهُ ... ... تَشَبَّثَ بالْقَوائِمِ والمُحيَّا

التمرين الثاني

علِّلْ لما يأْتي بعللٍ أدبيةٍ طريفةٍ:

١. دُنُوُّ السحابِ منَ الأرضِ.

٢. كُسوفُ الشمسِ.

٣. احتراقُ دارٍ غابَ عنها أَهلوها.

التمرين الثالث

مثِّلْ بمثاليين من إنشائك لحسنِ التعليل:

التمرين الرابع

اشرح البيتين الآتيين، وبيِّن ما فيهما منْ حسن التعليل، وهما لأَبي الطيب في المدح:

أَلَستَ ابنَ الأُلى سَعِدُوا وسَادُوا ... ولَـمْ يَلِـدُوا امْـرَأً إلاّ نَـجِيبَـا

وَمَا رِيـْحُ الـرِّيَاضِ لَـهَا وَلَـكِن ... كَسَاهَا دَفنُهُم فِي التُّرْبِ طِيْبَا

٥ خامساً: تأكيدُ المدحِ بما يُشْبهُ الذَّمَّ وعَكسُهُ

الأمثلـــة:

١ قال ابن الروميِّ:

ليسَ به عيبٌ سِوَى أَنَّهُ ... لا تَقَعُ العَيْنُ على شبهِهِ

٢ وقال آخر:

ولا عَيْبَ في معروفِهِمْ غيرَ أنَّهُ ... يُبَيِّنُ عَجْزَ الشَّاكرينَ عن الشُّكْرِ

٣ وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَنَا أفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أنِّي من قُرَيْشٍ).

٤ وقال النابغة الجَعْدِي:

فَتًى كَمُلَتْ أَخلاقُهُ غيرَ أَنّه ... جوادٌ فما يُبقي منَ المالِ باقِيا

الشّرح والتّوضيح:

عزيزي الطالب: لا أجدك تتردد في أن الأمثلة السابقة جميعها تفيد المدح، ولكنها وُضعت في أُسلوب غريب لم تَعْهَدْه، ولذلك نرى أن نشرحه لك.

صدَّر ابن الرومي في المثال الأول كلامه بنفي العيب عامة عن ممدوحه، ثم أتى بعد ذلك بأَداة استثناء هي (سوى) فسبق إلى وهم السامع أَن هناك عيبًا في الممدوح، وأَن ابن الرومي سيكون جريئاً في مصارحته به، ولكن السامع لم يلبث أَن وجد بعد أَداة الاستثناء صفةَ مدح، فراعه هذا الأسلوب، ووجد أن ابن

الرومي خدعه فلم يذكر عيباً، بل أكّد المدح الأول في صورة توهم الذم، ومثل ذلك يقال في المثال الثاني.

انظر إلى المثال الثالث تجد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف نفسه بصفة ممدوحة وهي أنه أفصح العرب، ولكنه أتى بعدها بأداة استثناء فدهش السامع: وظن أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيذكر بعدها صفةً غير محبوبة. ولكن سرعان ما هدأت نفسه حين وجد صفة ممدوحة بعد أداة الاستثناء، وهي أنه من قريش، وقريش أفصح العرب غير منازَعين، فكان ذلك توكيدًا للمدح الأول في أسلوب ألف الناسُ سماعه في الذِّم، وكذلك يقال في المثال الأخير، ويسمَّى هذا الأسلوب في جميع الأمثلة المتقدمة وما جاءَ على شاكلتها تأكيد المدح بما يشبه الذّمَّ.

وهناك أسلوبٌ لتوكيد الذمِّ بما يشبه المدح وهو كالأسلوب السابق، له صورتان: فالأولى نحو: لا جمال في الخطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة، والثانية نحو: القوم شِحاحٌ إلا أنهم جُبناء.

الخلاصة

١ **تأكيدُ المَدْحِ بما يُشْبهُ الذمّ ضربان:**

(أ) أنْ يُسْتَثنَى مِنْ صِفَة ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ مَدْحٍ .

(ب) أن يُثْبَتَ لِشَيءٍ صِفَةُ مَدْحٍ، ويُؤتَى بَعْدَها بأدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ تَليهَا صِفَةُ مَدْحٍ أخْرَى .

٢ **تأكيدُ الذَّمّ بما يُشْبهُ المدحَ ضربان:**

(أ) أن يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَةِ مَدْحٍ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ ذَمٍّ.

(ب) أنْ يُثْبَتَ لِشَيْءٍ صِفَةُ ذَمٍّ، ثُمَّ يُؤْتَى بَعْدَهَا بأَدَاةِ اسْتِثْناءٍ تَلِيهَا صِفَةُ ذَمٍّ أُخْرَى.

تمرينـــات

التمرين الأول

اشرح ما في الأمثلة الآتية من تأكيد المدح بما يشبه الذّم، وبيّن ضربه:

١ قال ابنُ نُباتة المِصْريُّ:

ولا عَيْبَ فيهِ غيرَ أنِّي قصدْتُهُ ... فأَنْستِنِيَ الأَيَّامُ أَهلاً وموطِنَا

٢ وقال التنوخي:

وجوهٌ كأَكْبادِ المُحِبِّينَ رقَّةً ... ولكنَّها يومَ الهيَاجِ صُخُورُ

٣ وقال الشاعر:

ولا عَيْبَ فيكم غيرَ أنَّ ضيُوفكُمْ ... تعابُ بنسيانِ الأَحبَّةِ والوطنْ

٤ هم فرْسانُ الكلام إلا أَنهم سادةٌ أمجاد.

التمرين الثاني

اِشرحْ ما في الأَمثلة الآتية منْ تأْكيد الذمِّ بما يشبهُ المدحَ، وبيِّنْ ضربَه:

١ لا فضلَ للقوم إلا أَنهم لا يعرفونَ للجار حقَّهُ.

٢ الكلامُ كثيرُ التعقيدِ سِوَى أَنه مبتَذَلُ المعاني.

٣ لا حُسْنَ في المنزل إلَّا أنه مُظْلِمٌ ضيِّقُ الحجراتِ.

التمرين الثالث

بيِّن ما في الأمثلة الآتية من تأْكيد المدح بما يشبه الذّمَّ وعكسِه:

١ قال صفيُّ الدِّين الحلّي:

لا عَيْبَ فيهمْ سِوَى أَنَّ النَّزيل بهمْ ... يَسلو عنِ الأَهْلِ والأَوْطانِ والحشَمِ

٢ هو بذيءُ اللسانِ غيرَ أنَّ صدرَه مَجمَعُ الأضْغانِ.

٣ وقال الشاعر:

تُعَدُّ ذُنوبي عِنْد قَومٍ كَثِيرةً ... ...ولاَ ذَنْبَ لِي إلا العُلا والفَضائِلُ

٤ الجاهلُ عدوُّ نَفْسِهِ لكنَّهُ صديقُ السفهاءِ.

٥ لا عيبَ في الروض إلا أَنه عليلُ النسيمِ.

التمرين الرابع

أجب عما يأتي:

١ اِمدح كتاباً قرأته وأكِّد المدح بما يشبه الذمَّ.

٢ اِمدح بلدًا زرتَه وأكِّد المدح بما يشبه الذمَّ.

٣ ذُمَّ طريقًا سلَكْتَها، أكدِ الذمَّ بما يشبه المدح.

التمرين الخامس

اشرح البيتين الآتيين، وبين في أُسلوبهما تأكيد المدح بما يشبه الذمَّ:

مدحْتُكُم بمديحٍ لَوْ مدحْتُ بهِ ... ... بحْرَ الجحاز لأغْنَتْني جواهِرُهُ

لاَ عَيْبَ لي غَيْرَ أنّي مِنْ ديَارِكُم ... ... وزَامِرُ الحيِّ لَمْ تُطرِبْ مَزَامِرُه

٦ سادساً: أُسلوبُ الحكيم

الأمثلـــة:

١ قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة:١٨٩].

٢ وقال ابن حجاج:

قلتُ ثَقَّلْتُ إذْ أَتَيْتُ مراراً ... قالَ ثَقَّلْتَ كاهِلِي بالأَيادِي

قلتُ طَوَّلْت قالَ لا بل تطوَّ ... لت وأَبرمتُ قالَ حَبْلَ ودادِي

الشّرح والتّوضيح:

عزيزي الطالب: قد يخاطبكَ إنسانٌ أو يسألك سائل عن أمر من الأمور فتجد من نفسك ميلاً إلى الإعراض عن الخوض في موضوع الحديث أو الإجابة عن السؤال لأغراض كثيرة منها أن السائل أعجزُ من أن يفهم الجواب على الوجه الصحيح، وأنه يجْمُل به أن ينْصرف عنه إلى النظر فيما هو أنفع له وأجدى عليه، ومنها أنك تخالف محدثك في الرأي ولا تريد أن تجبهه برأيك فيه، وفي تلك الحال وأمثالها تَصرفه في شيءٍ من اللباقة عن الموضوع الذي هو فيه إلى ضرب من الحديث تراه أجدر وأولى.

اُنظر إلى المثال الأول تجد أن أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألوه عن الأَهلة، لِمَ تبْدو صغيرةً ثمّ تزداد حتى يتكامل نورها ثم تتضاءل حتى لا تُرى، وهذه مسألة من مسائل علم الفلك يُحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة

فَصرفهم القرآن الكريم عن هذا ببيان أن الأهلة وسائِل للتوّقيت في المعاملات والعبادات؛ إشارة منه إلى أن الأَولى بهم أن يسألوه عن هذا: وإلى أَنَّ البحث في العلوم يجب أن يُرْجأَ قليلاً حتى تتوطد الدول وتَسْتَقِرَّ صخرةُ الإسلام.

وابن حجاج في المثال الثاني إذ يقول لصاحبه قد ثقَّلْتُ عليك بكثرة زياراتي فيصرفه صاحبه عن رأيه في أدب وظُرْف وينقل كلمته من معناها إلى معنى آخر، ويقول له: إنك ثقَّلتَ كاهلي مما أَغدقت عليَّ من نِعم ومثل ذلك يقال في البيت الثاني، وهذا النوع من البديع يسمَّى: أُسلوبَ الحكيم.

الخلاصة

أُسْلوبُ الحكيم: تَلَقِّي الْمُخَاطَبِ بغير ما يَتَرَقَّبُهُ، إِمَّا بتَرْكِ سؤاله والإجابة عن سؤالٍ لم يَسْأَلْهُ، وإِمَّا بحَمْلِ كلامه عَلَى غير ما كانَ يَقْصِدُ، إِشارَةً إلى أَنَّهُ كان يَنْبَغي له أَن يَسْأَلَ هذا السؤال أَوْ يَقْصِدَ هذا الْمَعْنَى.

تمرينـــات

التمرين الأول

بين كيف جاء الكلام على أسلوب الحكيم في الأمثلة الآتية:

١ **قال الشاعر:**

ولقدْ أَتيتُ لصاحِبي وسأَلْتُهُ ... في قَرْضِ دينارٍ لأمرٍ كانَا

فأَجابَني واللهِ داري ما حَوَتْ ... عيناً فقلتُ لهُ ولا إنسانا

٢ **قيل لشيخٍ هَرِمٍ:** كم سِنُّكَ؟ فقال: إِني أَنْعَمُ بالعافيةِ.

٣ **قيل لرجلٍ:** ما الغنَى؟ فقال: الجودُ أَنْ تجودَ بالموجودِ.

٤ **سئلَ غريبٌ عن دينهِ واعتقادهِ،** فقال: أُحِبُّ للناسِ ما أحِبُّ لنفسي.

٥ **قيل لتاجرٍ:** كمْ رأْسُ مالك؟ فقال: إِني أَمِينٌ وثقَةُ الناس بي عظيمةٌ.

٦ **قال الحجَّاجُ للمهلَّبِ:** أنا أَطولُ أَم أَنتَ؟ فقال: أَنْت أَطولُ، وأنا أَبْسطُ قامةً .

٧ **دخل سيدُ بن أنسٍ على المأمون فقال له المأمون:** أَنْتَ السَّيِّدُ، فقال: أَنتَ السيدُ يا أمير المؤمنينَ وأَنا ابن أَنسٍ.

٨ **قال الشاعر:**

طلبتُ منه درْهماً ... ... يوْماً فاظْهَر الْعجَبْ

وقال ذَا مِنْ فِضَّةٍ ... ... يُصْنعُ لا مِنَ الذَّهبْ

٩ قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة:٢١٩].

التمرين الثاني

إذا سُئِلْت الأسئلة الآتية وأردت أن تتَّبع أُسلوب الحكيم فكيف تجيب؟

١ ما دخْلُ أبيك؟

٢ ما ثمنُ هذه الحُلَّةَ؟

٣ أينَ منزلُك؟

٤ كم سنةً قَضيت في التعليم الثانوي؟

التمرين الثالث

كوِّن مثالين من إنشائك تجري فيهما على أسلوب الحكيم.

التمرين الرابع

اشرح البيتين الآتيين وبيِّن النوع البديعي الذي فيهما:

جاءَني ابْني يوْمــاً وكنــتُ أَراهُ ... ... لِــي ريْحانَـــة ومصْــدرَ أُنْسِ

قال ما الروحُ؟ قُلتُ إِنك رُوحي ... ... قال ما النفْسُ؟ قلتُ إنكَ نفسي

٧ أثر علم البديع في بلاغة الكلام

عزيزي الطالب: بعد دراستك للموضوعات السابقة في علم البديع نستطيع القول أنّ للمحسنات البديعية - لفظية ومعنوية - بالغ الأثر في تقوية دلالة الكلام وبلاغته، وما يتردد عند البعض من أن علم البديع يأتي ذيلًا بعد علمي البلاغة (المعاني والبيان)، وتابعًا من توابعها، ومن أنه يأتي بمنزلة الطلاء الذي يكون بعد تمام البناء، ومن ثم فتحسينه عرضي؛ لأن مجيئه بعد المطابقة، وبعد وضوح الدلالة؛ الذي هو موضوع علم المعاني، وفي الحقيقة أنّ هذا التصور غير مسلم به، ويرده: أنه قائم على أساس نظري، لا دليل عليه ولا برهان، ذلك أن منزلة علم البديع ينبغي أن تتحدد بأمرين:

أولهما: أثر ألوانه وفنونه في قوة الكلام وبلاغته.

وثانيهما: مدخله في الإعجاز القرآني.

فإذا ما رأينا للألوان البديعية (لفظية ومعنوية) أثرًا في بلاغة الكلام؛ بحيث إذا فقد الكلام ما حواه من هذه الألوان؛ فقد بلاغته، كان هذا ردًا على ما ذهب إليه هؤلاء بالبطلان، وثبت لألوان البديع منزلة ومكانة لا تقل عن منزلة علمي المعاني والبيان ومكانتهما، وبخاصة قد ثبت أن لهذه الألوان مدخلها في إعجاز القرآن الكريم.

وإذا أردنا بحث الأمر الأول: فلنأخذ بعض الأمثلة البديعية؛ لنتبين هل لهذه الألوان أثرٌ في بلاغة الأسلوب وقوته، أم ليس لها مدخل فيهما، وعلى سبيل المثال: المبالغة التي سموها: التبليغ، في قول ابن الرومي:

لَو أَنَّ قَصْرَكَ يَا ابنَ يُوسُفَ مُمتَلٍ ..... إِبَرًا يَضِيقُ بِهَا فِنَاءُ المنـــزِلِ

وَأَتَاكَ يُوسُـفُ يَستَعِيـرُكَ إِبْـرَةً ..... لِيَخِيطَ قُدَّ قَمِيصِهِ.. لَم تَفعَلِ!!

انظر إلى غرض الشاعر، من وصف مهجوه بصفة البخل، ترى أن الشاعر لم يقصد إلى وصف هذا البخيل بمجرد صفة؛ لأنها فيه مشهورة معروفة، ولكنه قصد إلى وصفه بمنتهى البخل، والبلوغ في هذا الوصف أحط درجاته، فالمختار من المعاني ما يؤدي هذا الغرض ويطابقه، فليس أهون من الإبر في البذل والعطاء، خصوصًا إذا كانت كثيرة يضيق بها فناء المنزل، وليس أمعن في البخل والشح وأبلغ في الخسة واللؤم من الضن بإبرة واحدة، من هذا الكم الهائل من الإبر على من يستوجب حاله الإيثار والبذل؛ لرتق الخرق وضم المزق، ولا سيما إذا كان الطالب لهذا الشيء الحقير هو أباه ولئن كان الشاعر مبالغًا في هذا الوصف، فإن المقام -أعني: مقام الهجاء اللاذع- مما يستدعي توجيه أشنع صفات الذم للمذموم والمبالغة فيها، ولو نقص الشاعر عن هذه الدرجة التي وصم بها مهجوه من البخل؛ لما وصل إلى غرضه، فالمبالغة فيها داخلة في غرض الشاعر، مرتبطة بالحال التي أراد لكلامه أن يجيء مطابقا لها، حتى يوصف بصفة البلاغة.

وقس على هذا المثال جميع أمثلة المبالغة، وستجدها مرتبطة بالحال والمقام والأغراض التي قيلت فيها، وخذ أسلوب الاستخدام في قول الشاعر:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ..... رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابًا

فقد قالوا: أراد بـ (السماء)، الغيث، وبضميره في: (رعيناه)، النبت، وواضح أن إطلاق السماء وإرادة الغيث، مجاز مرسل علاقته المجاورة، كما أن إطلاق الغيث، يعني: الضمير في رعيناه على النبات، مجاز مرسل أيضًا علاقته المسببية، وأيضا إسناد الراعي إلى ضمير المتكلمين فيه إيجاز بالحث؛ أي: رعته إبلنا ومواشينا، وأيضًا قوله: (رعيناه)، أخصر وأوجز من قوله: رعينا النبات الناشئ عن المطر، ثم فوق هذا فالبيت كله كناية عن شرف هؤلاء القوم، ووصفهم بالرياسة وشمول السيادة والسلطان.

والسؤال هنا: أليست كل هذه الألوان في البيت الذي كان لأسلوب الاستخدام مدخل فيها، مما اتفقوا على أنها من علمي المعاني والبيان؟

إذًا لو افتقد البيت هذا اللون لأخلَّ بكل هذه المعاني التي قصد إليها الشاعر قصدًا؛ تأديةً لغرضه، ومطابقة للحال التي ساق فيها هذا البيت.

وخذ حسن التعليل في قول أبي الطيب المتنبي:

ما بِهِ قَتْلُ أعادِيهِ وَلَكِنْ .... يَتَّقِي إخلافَ مَا ترجو الذِّئابُ

فقد قالوا: إن الباعث على سفك دماء الأعداء هو إهلاكهم والتخلص منهم؛ حتى يصفو الجو، وتأمن النفس غائلتهم، ولكن الشاعر يرى أن هذا ليس علة كافية لقتل الممدوح أعداءه، وإنما باعثه على قتلهم هو تمكن الكرم من نفسه، حتى صار يتقي إخلاف ما تؤمله الذئاب على يديه من اتساع رزقها من قتله، ولو تأملت ما قالوه؛ لوجدت أن هذا الصنيع الذي لجأ إليه الشاعر، لم يكن لكلامه أن يقوى ولا أن يقع موقعه من البلاغة بدونه، فهذا الأسلوب - ونعني به: أسلوب حسين التعليل- داخل في بلاغة الكلام، وفي صميمها.

ويكفي ما علق به إمام البلاغيين -عبد القاهر الجرجاني- على هذا البيت تدليلًا على ما نقول، إذ قال: (واعلم أن هذا لا يكون حتى يكون في استئناف هذه العِلّة المدَّعاة فائدة شريفة فيما يتصل بالممدوح، أو يكون لها تأثير في الذمّ، كقصد المتنبي هاهنا في أن يبالغ في وصفه بالسَّخاء والجود، وأَنّ طبيعةَ الكرم قد غلبت عليه، ومحبَّته أن يُصدِّق رجاء الراجين، وأن يجنِّبهم الخيبة في آمالهم، قد بلغت به هذا الحدَّ، فلما علم أنه إذا غدا للحرب غَدَت الذئاب تتوقّع أن يتسع عليها الرزق، ويُخْصِب لها الوقت من قَتْلَى عداه، كَرِهَ أن يُخْلِفها، وأن يخيِّبَ رجاءهَا ولا يُسعِفُها، وفيه نوع آخر من المدح، وهو أنه يهزم العِدَى ويكسِرهم كسراً لا يطمَعون بعده في المعاوَدة، فيستغني بذلك عن قَتْلَهم وإراقة دمائهم، وإنه ليس ممن يُسْرف في القتل طاعةً للغَيْظ والحَنَق...).

ولو تتبعنا هذا اللون وغيره من ألوان البديع الأخرى في كل الأساليب؛ لوجدنا تحته من الأسرار والنكات، ما يضع يديك على أثر هذه الألوان في قوة الأساليب وبلاغتها.

وإذا ما انتقلنا على الأمر الثاني: وهو مدخل البديع في الإعجاز القرآني؛ لوجدنا أن فنون البديع لا تقل شأنا في إظهار روعة القرآن الكريم، وسر فصاحته وبلاغته عن مسائل علمي المعاني والبيان، وأن ألوان البديع يستدل بها على إعجاز القرآن الكريم، كما يستدل على إعجازه بمسائل التقديم التأخير، والحذف، والتشبيه، والاستعارة، وما إلى ذلك من مسائل العلمين – المعاني والبيان– ولنأخذ في التدليل على ذلك بعض الأمثلة:

ففي مراعاة النظير، ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ ﴾ [الرحمن:٥]، تجد أن هذه الآية جمعت بين الشمس القمر، وهما متناسبان لتقارنهما في الخيال، ولكونهما كوكبين سماويين يبددان ظلام الكون، فإذا كان الغرض من هذا الجمع، هو الحكم عليهما بأنهما يجريان في بروجهما بحسبان معلوم المقدار، لا يزيدان عليه ولا ينقصان عنه، ففي ذلك نظام الكائنات واختلاف الفصول والأوقات، وحساب الشهور والسنين، فكان ذلك الصنيع أخصر الطرق في أداء هذا الغرض وإيصاله إلى النفوس، نعم، يمكن أن يقال في غير القرآن: الشمس بحسبان والقمر بحسبان، فيكون لغوًا من القول وباطلًا من التأليف؛ لأنه إطناب لا داعي له ولا غرض يستدعيه، فأساليب مراعاة النظير التي عمادها جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد، مما تقتضيها الأحوال وتستدعيها الأغراض.

وكذا لو تأملنا أسلوب الإرصاد، الذي يعني في اصطلاح البلاغيين أن يجعل قبل الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي، وتأمل قول الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[العنكبوت:٤٠]، فغرض الآية: نفي أن يكون من الله ظلم للعباد، وإثبات ظلمهم لأنفسهم، وطبيعة الأسلوب الذي يؤدى به مثل هذا الغرض، أن يدل أوله على آخره، وسابقه على لاحقه؛ ولذا يقول السبكي: (و وقف القارئ على ﴿أَنفُسَهُمۡ ﴾ لفهم أن بعده ﴿يَظۡلِمُونَ ﴾...)، وروي أنه لما بلغت قراءة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون:١٤]، قال عبد الله بن أبي سرح: ﴿فَتَبَارَكَ

﴿ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : (كذلك أنزلت)، وإذا كان الغرض متعلقًا بمثل هذا؛ كان ما أطلقوا عليه اسم الإرصاد عائدًا على الأسلوب في التحسين الذاتي؛ لأنَّه مما يقتضيه المقام.

والأمثلة القرآنية المشتملة على ألوان البديع، أكثر من أن يتسع لها هذا المقام، فهي كثيرة ومبثوثة في أساليب القرآن وآياته، وكلها تشهد بأن حسنها ذاتي داخل في صميم البلاغة، ودال على عظمة القرآن وإعجازه.

وقد أكد أستاذ البلاغة الدكتور محمد أبو موسى: على أن البلاغة القرآنية، يتساوى فيها ألوان البديع وفنون المعاني والبيان، فبلاغة القرآن المعجزة، تحيط بكل هذه الألوان والفنون، وذلك في قوله عن ألوان البديع، في تفسير الزمخشري للبلاغة القرآنية، وعرض الزمخشري للمشاكلة، والطباق، والجناس، والمزاوجة، والتقسيم، وغير ذلك مما جعله المتأخرون من علم البديع، كما عرض لفنون البيان والمعاني ولا أجد من كلامه ما يدل على أن الألوان التي جعلها المتأخرون من علم البديع دون غيرها من فنون البيان والمعاني، من حيث أثرها في قوة الكلام وبلاغته، يقول: وقد نظرت في كتابه كله، ووقفت عند كل لون ذكره من هذه الألوان، فوجدته يشير إلى بلاغته، وإلى أنها فن من كلامه البديع وطراز عجيب، وأنها من مستغرب فنون البلاغ، ثم يشيد ببلاغة القرآن المعجزة التي تحيط بكل هذه الفنون، وتوجد فيها على أحسن صورة وأقوم منهج، يقول الزمخشري، في المشاكلة: ((ولله در التنزيل، وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها، لا تكاد تستغرب منه فنًّا إلا عثرت عليه فيه، على أقوم مناهجه وأسد مدارجة)).

ويقول في نوع من أنواع اللف: (إنَّه لطيف المسلك، لا يكاد يهتدي إلى تبيينه إلا النَّقَّاب المحدث من علماء البيان، ويذكر إعجاب شريح القاضي، ببلاغة الشاهد الذي راعى المشاكلة، حين قال له شريح: إنك لسبط الشهادة، فقال

الرجل: إنها لم تجعده عني، فقال له شريح: لله بلادك، وقبل شهادته، ثم هو يبسط هذه الألوان ويحللها، ويشرح أسلوبها وما تنطوي عليه من أسرار ونكات وهذه طريقته في دراسة فنون البيان والمعاني).

وقد صرح العلامة صفي الدين الحلي: بأن محاسن البديع يعرف بها كما يعرف بغيرها من ألوان المعاني والبيان ومسائلهما، وجه إعجاز القرآن الكريم، وذلك في قوله: (لا سبيل إلى فهم القرآن الكريم ومعرفة حقائقه، إلا بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من محاسن البديع، اللتين بهما يعرف وجه إعجاز القرآن، وصحة نبوة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالدليل والبرهان).

ومما سبق يتضح بما لا يدع مجالًا للشك، أن علم البديع لا يقل منزلة وشأنًا عن العلمين الآخرين؛ المعاني والبيان، بل وعن غيرها من سائر علوم اللغة العربية، فإن مدخله في بلاغة الكلام وقوته، وإعجاز القرآن الكريم، وسر عظمته جعل له من الفضل والحرية ما لهما، وإن القول بغير ذلك، كلام ينقصه الدقة ولا يتفق مع النظرة العلمية للأمور، وقد ذكرنا من الأدلة على هذا ما به تقام الحجة.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات